هدية
من المؤلف

التفسير البسيط للقرآن الكريم

الجزء الرابع

بقلم
د. حسن محمد باجودة
رئيس قسم الدراسات العليا العربية - كلية اللغة العربية
جامعة أم القرى بمكة المكرمة

منشورات الأمانة العامة
لمسابقة القرآن الكريم الدولية
الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين والصّلاة والسّلام على أشرف المرسلين سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد :

فهذا تفسيرٌ مبسّطٌ للجزء الرّابع من القرآن الكريم ، يكمل به تفسير سورة آل عمران ويغطّي صدراً من سورة النّساء . وقد قمت به على غرار تفسير الأجزاء الثّلاثة الأولى ، الّتي طبعتها وزارة الحجّ والأوقاف مشكورة ، تلبيةً لرغبةٍ كريمةٍ للّجنة العليا المنظّمة للاحتفال السّنويّ العالميّ لتلاوة القرآن الكريم وتجويده وتفسيره ، برئاسة معالي وزير الحجّ والأوقاف الشّيخ عبد الوهّاب أحمد عبد الواسع . إنّ هذا الجزء الرّابع هو ميدان التّفسير للمتسابقين في الحقل الأول ، الّذي يشمل حفظ القرآن الكريم ، من بين حقول المسابقة الخمسة ، في الاحتفال السّنويّ السّابع ، المنعقد في شهر جمادي الأولى سنة ١٤٠٥ هـ . وكأنّ هذا التّفسير تتويجٌ للأعمال الّتى تمّت في مجال التّفسير ، أثناء الاحتفال السّابع ، علماً بأنّ ميدان التّفسير للمتسابقين هذا العام ١٤٠٦ هـ هو الجزء الخامس من القرآن الكريم .

وأنتهز هذه الفرصة المباركة كي أوجّه خالص شكري وتقديري لوزارة الحجّ والأوقاف ، وعلى رأسها معالي الوزير ، على الثّقة الّتي منحتني إيّاها بأن أقوم بعمل هذا التّفسير ، الّذي حرصت فيه ، كما حرصت في سابقيه ، على أمورٍ أهمّها ثلاثة :

١ – أن أبيّن مظاهر التّرابط بين الآيات الكريمات والموضوعات .
٢ – أن أشير إلى الدّروس الّتي يمكن أن تستفاد .
٣ ــ أن أنسب الأقوال كلّها إلى مصادرها .

وفي الختام أسأل الله تعالى أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم ، وأن يتقبّله ، وأن يعفو عمّا بدر منّا من تقصير ، وألّا يحرمنا من الأجر ، إنّه سميعٌ مجيب .

« ربّنا لا تؤاخذنا إن نّسينا أو أخطأنا . ربّنا ولا تحْمل علينا إصراً كما حملته على الّذين من قبلنا . ربّنا ولا تحمّلنا مالا طاقة لنا بـه ، واعف عنّا واغفر لناوارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين » .

« سبحان ربّك ربّ العزّة عمّا يصفون . وسلامٌ على المرسلين . والحمد لله ربّ العالمين » .

وصلّى الله وسلّم على سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين . والحمد لله ربّ العـالمين .

مكّة المكرّمة
يوم الأحد ١١ / ١١ / ١٤٠٥ هـ
الموافق ٢٨ / ٧ / ١٩٨٥ م

د . حسن محمّد باجوده
رئيس قسم الدّراسات العليا العربيّة
جامعةأمّ القرى بمكّة المكرّمة

أولاً

تمام سورة آل عمران

لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ
فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾ ۞ كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِىٓ
إِسْرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ
ٱلتَّوْرَىٰةُ ۗ قُلْ فَأْتُوا۟ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ
﴿٩٣﴾ فَمَنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ
هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩٤﴾ قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ ۗ فَٱتَّبِعُوا۟ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا
وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٥﴾ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى
بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ
إِبْرَٰهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ
مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ
﴿٩٧﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ شَهِيدٌ
عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٨﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن
سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ ۗ وَمَا ٱللَّهُ
بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟
فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ ﴿١٠٠﴾

وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ
رَسُولُهُۥ ۗ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾
يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم
مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ
وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ
فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ
فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ
﴿١٠٣﴾ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ
وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا
تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ
وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ
وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ
فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ
وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١٠٧﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ
ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٨﴾

وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ
﴿١٠٩﴾ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ
وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ
أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ
وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾ لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى ۖ
وَإِن يُقَٰتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١١١﴾ ضُرِبَتْ
عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓا۟ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ
وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ ۚ ذَٰلِكَ
بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ
حَقٍّ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿١١٢﴾ ۞ لَيْسُوا۟ سَوَآءً ۗ
مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ
وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ
وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ
فِي ٱلْخَيْرَٰتِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٤﴾ وَمَا يَفْعَلُوا۟
مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴿١١٥﴾

ربع الحزب ٧

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم
مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١٦﴾
مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا
صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ ۚ وَمَا
ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا
وَدُّوا۟ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى
صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾
هَٰٓأَنتُمْ أُو۟لَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَٰبِ كُلِّهِۦ ۖ
وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ عَضُّوا۟ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ
مِنَ ٱلْغَيْظِ ۚ قُلْ مُوتُوا۟ بِغَيْظِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١١٩﴾
إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا۟
بِهَا ۖ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ
إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ
تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلْقِتَالِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢١﴾

إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا ۗ وَعَلَى
اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢٢﴾ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ
أَذِلَّةٌ ۖ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ
أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ
مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰ ۚ إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ
هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ
﴿١٢٥﴾ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ ۗ وَمَا
النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾ لِيَقْطَعَ طَرَفًا
مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنقَلِبُوا خَائِبِينَ ﴿١٢٧﴾ لَيْسَ لَكَ
مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ
﴿١٢٨﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ
وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٩﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ
لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٣٠﴾ وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ
﴿١٣١﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾

۞ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا
ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ
فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ
عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا
فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟
لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ
مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ
مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ
فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿١٣٦﴾ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ
فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ
﴿١٣٧﴾ هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾
وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ
﴿١٣٩﴾ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ
وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٠﴾

وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَمْحَقَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿١٤١﴾ أَمْ
حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَـٰهَدُوا۟
مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٤٢﴾ وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ مِن
قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿١٤٣﴾ وَمَا مُحَمَّدٌ
إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِي۟ن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ
ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ
ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَمَا كَانَ
لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَـٰبًا مُّؤَجَّلًا ۗ وَمَن يُرِدْ
ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْـَٔاخِرَةِ نُؤْتِهِۦ
مِنْهَا ۚ وَسَنَجْزِى ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿١٤٥﴾ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِىٍّ قَـٰتَلَ مَعَهُۥ
رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟
وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ
إِلَّآ أَن قَالُوا۟ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ
أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ
ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْـَٔاخِرَةِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٨﴾

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟
يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾
بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلنَّٰصِرِينَ ﴿١٥٠﴾ سَنُلْقِى
فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ بِمَآ أَشْرَكُوا۟ بِٱللَّهِ
مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا ۖ وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۚ وَبِئْسَ
مَثْوَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥١﴾ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ
وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ
وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم
مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم
مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ
وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ
﴿١٥٢﴾ ۞ إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ
وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ فَأَثَٰبَكُمْ
غَمًّۢا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ
وَلَا مَآ أَصَٰبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٥٣﴾

ثلاثة أرباع الحزب ٧

ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً
مِّنكُمْ ۖ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ
ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ ۗ
قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ۗ يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ ۖ
يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا ۗ قُل لَّوْ كُنتُمْ
فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ۖ
وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۗ
وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ مِنكُمْ
يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا
كَسَبُوا۟ ۖ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا
ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ إِذَا
ضَرَبُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ كَانُوا۟ غُزًّى لَّوْ كَانُوا۟ عِندَنَا مَا مَاتُوا۟ وَمَا
قُتِلُوا۟ لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِى قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۗ
وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٥٦﴾ وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ
أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿١٥٧﴾

وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى ٱللَّهِ تُحْشَرُونَ ﴿١٥٨﴾ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ
ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ
فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ
فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ
فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ
بَعْدِهِۦ ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٦٠﴾ وَمَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن
يَغُلَّ ۚ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ
نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦١﴾ أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ
ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ
﴿١٦٢﴾ هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٣﴾
لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ
يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ
وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾
أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ
قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٥﴾

وَمَآ أَصَـٰبَكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلْمُؤْمِنِينَ
١٦٦ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ ۚ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ قَـٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ
أَوِ ٱدْفَعُوا۟ ۖ قَالُوا۟ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّا ٱتَّبَعْنَـٰكُمْ ۗ هُمْ لِلْكُفْرِ
يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَـٰنِ ۚ يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ
فِى قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ١٦٧ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ
وَقَعَدُوا۟ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا۟ ۗ قُلْ فَٱدْرَءُوا۟ عَنْ أَنفُسِكُمُ
ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ١٦٨ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى
سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ١٦٩ فَرِحِينَ
بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟
بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ١٧٠
يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ
ٱلْمُؤْمِنِينَ ١٧١ ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ
أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا۟ أَجْرٌ عَظِيمٌ ١٧٢
ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ
فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ١٧٣

الحزب ٨

فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟
رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ
يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾
وَلَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ ۚ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ
شَيْـًٔا ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ
عَظِيمٌ ﴿١٧٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ لَن يَضُرُّوا۟
ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٧﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟
أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۚ إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِثْمًا ۚ
وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٧٨﴾ مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ
أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ
عَلَى ٱلْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِى مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ
وَرُسُلِهِۦ ۚ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٩﴾ وَلَا
يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا
لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ
وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٨٠﴾

لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ ۘ
سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا۟ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ
ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ
وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٨٢﴾ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ
ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَآ أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ
تَأْكُلُهُ ٱلنَّارُ ۗ قُلْ قَدْ جَآءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِى بِٱلْبَيِّنَٰتِ
وَبِٱلَّذِى قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٨٣﴾
فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآءُو بِٱلْبَيِّنَٰتِ
وَٱلزُّبُرِ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴿١٨٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ
وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ
عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ
إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾ ۞ لَتُبْلَوُنَّ فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ
وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ
مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا ۚ
وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾

ربع الحزب ٨

وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ
وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا
قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ
بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم
بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨٨﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٨٩﴾ إِنَّ فِى
خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ
لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا
وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ
رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾
رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ
أَنصَارٍ ﴿١٩٢﴾ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ
ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا
سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا
عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾

فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن
ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۖ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَأُخْرِجُوا۟
مِن دِيَٰرِهِمْ وَأُوذُوا۟ فِى سَبِيلِى وَقَٰتَلُوا۟ وَقُتِلُوا۟ لَأُكَفِّرَنَّ
عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا
ٱلْأَنْهَٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾
لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿١٩٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ
ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٩٧﴾ لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟
رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا
نُزُلًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ ﴿١٩٨﴾ وَإِنَّ مِنْ
أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ
أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا
قَلِيلًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ
سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟
وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾

بَين يَدَي التفسير

تصحيح أخطاء أهل الكتاب وتحذير المؤمنين من طاعتهم

الآيات ٩٣ - ١٠١

تحدّث الآيات الكريمات السّابقات في الجزء الثالث عن النصارى وغلوّهم في عيسى ابن مريم عليه السّلام وبيّنت وجه الصّواب في عيسى عليه السّلام وفي العديد من المسائل ، ويتحوّل السّياق في أوّل الجزء الرّابع إلى بني إسرائيل ويبيّن لهم وجه الحقّ في العديد من المسائل ، ومن ذلك أنّ كلّ الطّعام كان حلالاً لبني إسرائيل إلا ما حرّم يعقوب عليه السّلام على نفسه من لحوم الإبل وألبانهاوكان نذر إنْ عافاه الله تعالى من عِرْق النَّسا أن يحرّم أحبّ الطّعام والشّراب إليه فعافاه الله فحرّم لحوم الإبل وألبانها ، ثمّ أنزل الله تعالى التّوراة على موسى عليه السّلام فجاءت بتحريم ذلك وأشياءَ أخر زيادةً على ذلك وتأمر الآية الكريمة بني إسرائيل أن يأتوا بالتّوراة وأن يتلوها ففيها الدّليل على صحة ما جاء فى القرآن الكريم ، وفيها الدّليل على افتراء بني إسرائيل الكذب حينما يزعمون أن التّحريم إنما كان على عهد إبراهيم عليه السّلام وليس من جهة يعقوب عليه السّلام . وإنّما يصرّ بنو إسرائيل على هذا الزّعم الّذي ثبت بطلانه لما يترتّب على اتّباع الحقّ من اتّباع إبراهيم عليه السّلام أبى الأنبياءوالّذي بعث محمّد بن عبد الله ﷺ بحنيفيّته السّمحة كاملةً غير منقوصة .

ويطلب السّياق من المصطفى ﷺ أن يقول « صدق الله » وعلى بني إسرائيل أن يتّبعوا ملّة إبراهيم حنيفاً . وفي نفي الشّرك عن إبراهيم عليه السّلام تعريضٌ ببني إسرائيل الّذين عبد بعضهم العجل وزعم بعضهم أنّ عزيراً ابن الله . وقد أمر القرآن الكريم المصطفى ﷺ في أكثر من موضع أن يتّبع ملّة إبراهيم حنيفاً وحينما يكون المصطفى ﷺ قد بعثه الله تعالى بالحنيفيّة السّمحة دين إبراهيم عليه السّلام ففي أمر بني إسرائيل باتّباع إبراهيم عليه السّلام أمرٌ ضمنيٌّ لهم باتّباع محمّد ﷺ الّذي بعثه الله تعالى بحنيفيّة إبراهيم عليه السّلام دين الإسلام .

وردّاً على زعم أهل الكتاب أن قبلتهم قبل قبلة المسلمين مع علمهم بأن إبراهيم عليه السّلام يسبق زمناً كلًّا من موسى وعيسى عليهما السّلام يتحوّل السّياق إلى الحديث عن أول بيتٍ وُضع للنّاس من أجل عبادة الله تعالى وحده لا شريك له ألا وهو بيت الله تعالى الحرام بمكّة المكرّمة . إنّه مباركٌ وهدىً للعالمين وفيه آياتٌ بيّنات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمناً على دمه وماله وعرضه . ويقرّر السّياق أن لله تعالى على النّاس كلّ النّاس حجّ البيت من استطاع اليه سبيلاً وتقرّر أن من كفر فإنّ الله غنيٌّ عن العالمين . وإنّما

يكون الحجّ إلى بيت الله تعالى عن طريق اعتناق دين الإسلام الّذي جاء به محمّد بن عبد الله ﷺ الّذي بعثه الله تعالى بالحنيفيّة السّمحة دين إبراهيم عليه السّلام . وإنّ الحجّ إلى بيت الله تعالى الحرام هو الرّكن الخامس من أركان الإسلام ، فمن شروط أداء هذا الرّكن الإسلام . وإنّ تقرير السّياق غنى الله تعالى عن الكافرين يرشّح للحديث عن أهل الكتاب من زاوية كفرهم بآيات الله تعالى عن عمدٍ وسبق إصرار . ويتمّ ذلك في آيتين كريمتين ويتمّ خطاب أهل الكتاب في ألطف أسلوب ألا وهو أسلوب الاستفهام الإنكاريّ المنبّه إلى أهمّ صفات القوم وهي كونهم أهل كتاب سماويّ لا يليق بهم العمل بعكس تعاليمه الّتي تدعوهم الى اتباع خاتم النّبيّين فعليهم أن يعودوا إلى جادّة الصّواب وإلّا نالوا جزائهم .

وإزاء إصرار أهل الكتاب على الكفر وعلى الصّدّ عن سبيل الله تعالى يحذّر السّياق الّذين آمنوا عموماً الصّحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين ابتداءً من طاعة أهل الكتاب الّذين لا يرضيهم سوى أن يتحولوا – لا سمح الله – عن الإسلام كفّارا ، يهوداً فذلك ما يُرْضى اليهود ، نصارى وذلك ما يرضي النّصارى . وينكر السّياق أشدّ الإنكار على المؤمنين أن يتحوّلو كفّاراً وإنّ آيات الله تعالى تُتْلى عليهم وإنّ المصطفى ﷺ بين ظَهْرانَيْهِمْ ، ومن لم يدرك المصطفى ﷺ فقد ترك عليه الصّلاة والسّلام وراءه مالا يضلّ أبداً من تمسّك به كتاب الله وسنّته عليه الصّلاة والسّلام .

توجيهٌ للمؤمنين وتحذيرٌ ونعوت الأمّة المؤمنة وصفات الكافرين. الآيات ١٠٢ - ١١٢

بعد نهي المؤمنين عن طاعة أهل الكتاب الّذين يريدون لهم أن يتحوّلوا كفّاراً يسرد السّياق مجموعةً من الأوامر والتّوجيهات وفي مقدّمتها أن يتّقوا الله حقّ تقاته وألّا يموتوا إلّا وهم مسلمون . ومع أنّ الأمر بتقوى الله تعالى حقّ تقاته قد قيّد بتقوى الله تعالى قدر الاستطاعة وذلك في قوله تعالى : « فاتّقوا الله ما استطعتم » فإنّ اعتصام المسلمين جميعاً وعدم التّفرق يُلزِمُ القرآن الكريم المسلمين بكلٍ منهما كما يأمرهم بأن يذكروا نعمة الله عليهم بالإسلام إذ أصبحوا إخوةً متحابّين وكانو في الجاهليّة أعداء متباغضين ، وأن يذكروا نعمة الله عليهم بإنقاذهم بالإسلام من شفا حفرة النّار الّتي كادوا يتردّون فيها .

ويتجاوز السّياق هذه المرحلة الّتي تنظر إلى الأمّة الإسلامية من زاوية تماسكها واعتصامها بحبل الله تعالى إلى مرحلةٍ تاليةٍ يتّضح منها الرّسالة السّامية لهذه الأمّة بأن تدعو الى الله تعالى وأن تعمل جهد الطّاقة في سبيل اتّساع دائرة الإيمان : « ولتكن منكم أمّة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون » وميدان الخير يشمل الأمّة المسلمة والأمّة غير المسلمة ، الميدان الدّاخليّ والميدان الخارجيّ . والأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر يتعلّق في المقام الأول بالجماعة المسلمة ، وحينما تكون هذه الجماعة المسلمة قويّة تستطيع أن تأمر الآخرين بعمل المعروف وأن تنهاهم عن المنكر .

وبعد أمر الأمّة المسلمة بالاعتصام بحبل الله تعالى وعدم التّفرق عمّق السّياق هذا المعنى بالنهي عن التّفرق والاختلاف على غرار تفرّق اليهود والنّصارى واختلافهم .ومتى حدث ذلك من أهل الكتاب ؟ من بعد ما جاءهم البيّنات . وهل يليق التّفرق والاختلاف بخير أمّة أخرجت للنّاس ؟ هل يصحّ أن يحدث شيءٌ من ذلك وإنّ بين يديها وأمام ناظريها كتاب الله وسنّة نبيه ؟ لا يليق ولا يصحّ . إنّ العذاب العظيم الّذي هو من نصيب الّذين تفرّقوا واختلفوا قبلنا يصحّ أن يكون نصيبنا إن لم نتب إلى الله تعالى ونعد إلى جادة الصّواب . ويصحّ أن يكون العذاب فى الأولى ، على غرار ذهاب ريح المسلمين اليوم ، وسيكون أكيداً فى الآخرة إن لم نعد إلى جادّة الصّواب ، وفي ذلك اليوم تبيضّ وجوه المؤمنين وتسودّ وجوه الكافرين . ولمّا كان الكفر الّذي يراد طرده وإبعاده محور

حديث السّياق فقد تقدّم الحديث عن عقاب الّذين اسودّت وجوههم الّذين يقال لهم يوم القيامة ذوقواالعذاب بما كنتم تكفرون . «وأمّا الّذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله هم فيها خالدون » وإنّ الكفر بعد الإيمان يشمل الكفر بعد الإيمان حينما كان الخلق في عالم الذّرّ ، ويشمل المرتدّين عن دين الله تعالى الّذي رضيه جلّ وعلا لعباده ويشمل المنافقين . إنّ كلًّا من الفريقين مجازى ولا يظلم ربّك أحـدا . ولله ما فى السّماوات وما فى الأرض وإلى الله ترجع الأمور .

ويتحوّل السّياق إلى تبيين نعوت خير أمّـةٍ أخرجت للنّاس ، وإلى ذمّ أهل الكتاب . إنّ هذه الأمّـة خير أمّةٍ أخرجت لمصلحة الإنسانيّة وليس لمصلحتها الذّاتية ، وإنّ أهمّ نعوت هذه الأمّة أو مقوماتها أن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله . ولو نظرنا إلى الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر باعتبارهما شرطاً واحداً له وجهان لكان هذا الشرط قسيم الايمان بالله . ولو اعتبرنا الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر شرطين لكان الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر يشكّلان ثلثي مقوّمات الأمّة المسلمة .

ويذمّ السّياق الّذين لم يؤمنوا من أهل الكتاب وهم الأكثرية الفاسقة في مقابل أقلّيّتهم المؤمنة ، ويبيّن أنّ أهل الكتاب لن يستطيعوا بإذن الله تعالى أن يضرّوا خير أمّـةٍ أخرجت للنّاس إلّا أذىً بلسانهم ، ولو أنّهم قاتلوا المؤمنين لولّوهم الأدبار ولانتصر المؤمنون دائماً وأبداً ، ويبيّن السّياق أهمّ صفات فئةٍ كافرةٍ من أهل الكتاب هم بنو إسرائيل . وأمكن ترتيب تلك الصّفات في مجموعتين . فثمّة عصيان من القوم فكفرٌ بآيات الله تعالى فضرب الذّلّة والمسكنة عليهم . وهذه هي المجموعة الأولى . وثمّة اعتداءٌ فقتلهم الأنبياء بغير حقّ فاستحقاقهم لغضب الله تعالى الّذي رجعوا به . وهذه هي المجموعة الثانية .

نعوت مؤمني أهل الكتاب

الآيات ١١٣ - ١١٥

قرّر السّياق أنّ أكثر أهل الكتاب فاسقون ، ومعنى هذا أنّ ثمّة قلّةً مستثناة أشار إليها قوله تعالى : « ليسوا سواءً » ثمّ يأخذ السّياق في بيان نعوت هذه القلّة إنها جماعةٌ ثابتةٌ على الحقّ قائمةٌ بأمر الله مطيعةٌ لشرعه مترجمةٌ تعاليم التّوراة والإنجيل إلى عمل ، ومن ذلك الأمر باتّباع الرّسول النّبيّ الأمّيّ لذا فهي تتلو آيات الله آناء اللّيل وأطراف النّهار وهذا من باب الأولى ، فى الصّلاة وفي غير الصّلاة . وهي تؤمن بالله واليوم الآخر وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتسارع فى الخيرات وأولئك من الصّالحين ، وما يفعلوا من خير فلن يجحدوا ثوابه . والله عليمٌ بالمتّقين .

أعمال الكافرين هباء وصدّهم عن السّبيل حسرة
وتحذير من اتّخاذهم بطانة. الآيات ١١٦ - ١٢٠

ويعود السّياق إلى الأكثريّة الكافرة الفاسقة من أهل الكتاب وسواهم وتبيين صفاتهم ، إنّهم لن تغني عنهم يوم القيامة أموالهم ولا أولادهم من الله شيئاً ، وهم خالدون فى النّار . وإنّ مَثَل ما ينفقون للصّدّ عن سبيل الله تعالى وهم يظنّون أنّهم يحسنون صنعاً ويرجون ثوا باً كمثل ريح شديدة فيها بردٌ وزمهرير أصابت زرع قومٍ يرجون يوم الحصاد فأهلكته . إنّ ثواب كلٍ من العملين قد ذهب بسبب ظلمهم أنفسهم .

ويحذّر السّياق بعد ذلك المؤمنين من أن يتّخذوا من غير المؤمنين بطانةً لأنّهم لن يقصّروا في بذل منتهى طاقتهم فى سبيل جلب الخبال لكم وإحلال الفساد والبلاء بكم ، وهم يودّون ما يحرج المؤمنين ويشقّ عليهم ، وقد بدت بغضاؤهم للمؤمنين من فلتات ألسنتهم وما تخفي صدورهم من بغضٍ للمؤمنين ومقت أكبر . ويطلب السّياق من المؤمنين أن يستعملوا عقولهم استعمالاً صحيحاً في تأمّل الآيات الّتي بيّنها الله سبحانه وتعالى لهم من أجل أن يأخذوا حذرهم من عدوّهم . وبالإضافة إلى فلتات الألسنة يعطى السّياق مجموعةً من الأدلّة على بغض القوم للمؤمنين والحرص على إلحاق الأذى بهم

في دينهم ودنياهم . إنّ المسلمين يحبّون غير المسلمين وإنّ غير المسلمين لا يحبّون المسلمين . إنّ المسلمين يؤمنون بكلّ الكتب وإنّ غير المسلمين لا يؤمنون بالقرآن الكريم . وإنّ المنافقين من أهل الكتاب وسواهم إذا لقوا الّذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى أنفسهم أو إلى شياطينهم عضّوا عليكم الأنامل من الغيظ . ويخاطب السّياق المصطفى ﷺ وكلّ فردٍ من أفراد الأمّة الإسلاميّة : « قل موتوا بغيظكم إنّ الله عليمٌ بذات الصّدور » .

إنّ النّهي عن اتّخاذ غير المسلمين بطانةً نهيٌ حتميٌ ونهائيٌ .

ومن الأدلّة على ذلك أيضاً أنّهم إن تمسس المسلمين حسنة كالّذي تمّ في بدرٍ تسؤهم . وإن تصب المسلمين سيّئة كالّذي تمّ في أحد يفرحوا بها . ويأمر السّياق المؤمنين بأن يصبروا وأن يتقوا الله تعالى ، إنّهم بذلك ينجون من كيد أولئك الأعداء المُبْغِضين ، كما يقرّر السّياق أنّ الله سبحانه وتعالى بما يعملون محيط .

درس أُحُد

الآيات ١٢١ - ١٨٠

جاء درس أحد وحده في ستين آيةً في سورة آل عمران . وثمّة آيات أُخر ذوات علاقة على نحوٍ من الأنحاء بهذا الدّرس ممّا يجعل عدد الآيات فوق السّتين . ويبدأ السّياق بتذكير المصطفى ﷺ غدوّه صبيحة يوم أحد مبوّئاً المؤمنين مقاعدهم للقتال في ميدان المعركة ، والله سميعٌ عليم ، ويذكّر كذلك بالفئتين ، الخزرجيّة والأوسيّة ، اللّتين همّتا أن تفشلا وتضعفا عن القتال وتجبنا لولا أن تولاهما الله تعالى بعنايته ، وعلى الله فليتوكّل المؤمنون ، إنّ ذلك إنّما كان منهما عن ضعفٍ ووهنٍ أصابهما من غير شكٍّ في دينهما .

ولمّا كان درس أحد قاسياً على المؤمنين ، ولمّا كان النّصر والهزيمة بإذن الله تعالى ، ولمّا كانت رحمة الله تعالى قد وسعت كلّ شيءٍ وبخاصةٍ عباده المؤمنون ، ومن مظاهر تلك الرّحمة نصر المؤمنين بقيادة المصطفى ﷺ في أوّل لقاءٍ لهم بالمشركين يوم بدر ، فقد تحوّل السّياق إلى الحديث عن يوم بدر وإلى فضل الله تعالى على المؤمنين حينما نصرهم جلّ وعلا وهم أذلّة على عدوّهم الأكثر عدداً وعدّة .

وحينما يذكر المؤمنون فضل الله تعالى عليهم بنصرهم في بدرٍ تهون عليهم مصيبة هزيمتهم

فى أحد ، وإنّما يكون ذلك بتقوى الله تعالى فلعلّهم يقومون بما يجب عليهم من شكرٍ لله تعالى على نعمه ، إذ أمدّهم جلّ وعلا بثلاثة آلافٍ من الملائكة مسوّمين . وكان ذلك الإمداد بشرى للمؤمنين من ناحية كى تطمئنّ قلوبهم ، وبقصد قطع طرفٍ من الّذين كفروا أو كبتهم كى ينقلبوا خائبين .

وبما أنّ الإيمان شطران ، شطرٌ شكر وقد طلب من المؤمنين شكر الله تعالى على نصره فى بدر ، وشطرٌ صبر ، فإن هذا الشّطر الثّانى ارتبط بدرس أحد ، وابتدأ بقوله تعالى خطاباً له ﷺ :« ليس لك من الأمر شئ أو يتوب عليهم أو يعذّبَهُم فإنّهم ظالمون » إنّ لله تعالى الأمر كلّه إنْ شاء تاب على الظّالمين كفّار مكّة فهداهم إلى الإسلام وإن شاء عذّبهم . إنّ لله ما فى السّماوات وما فى الأرض يغفر لمن يشاء ويعذّب من يشاء والله غفورٌ رحيم .

ولمّا كان الإسلام كلاًّ لا يتجزّأ وكانت النّفوس إثر الهزيمة قابلةً للتلقّى مستعدّةً لأن تتشكّل وتتلوّن بأيسر الضّرب وأقلّ الجهد كالمعدن المنصهر ، ولمّا كان الرّبا هو الذّنب الوحيد الّذى أعلن الله تعالى الحرب على مرتكبه فقد كان فى أثناء الحديث عن الحرب وعن غزوة أحد حديث عن هذا الذّنب الكبير ، وأمرٌ بتقوى الله تعالى كى **يتّقوا** النّار الّتى أعدّت للكافرين ، وأمرٌ بطاعة الله وطاعة رسوله لعلّهم يرحمون ، وفى ذلك عتابٌ للرّماة الّذين لم يطيعوا الرّسول ﷺ وغادروا الجبل حرصاً على الغنيمة ، وأمرٌ بالمسارعة إلى مغفرةٍ من ربّهم وجنّة عرضها السّماوات والأرض أعدّت للمتّقين .

وفي آيتين كريمتين تُبَيَّنُ بعض صفات المتّقين. إنّهم ينفقون في السّرّاء والضّرّاء ويكظمون الغيظ ويعفون عن النّاس بل ويحسنون إليهم. وهم بشرٌ وليسوا ملائكة فإذا أذنبوا بادروا إلى التّوبة والاستغفار، لأنّهم يعلمون أنّ لهم ربّاً غفوراً. إن جزاء المتّقين الجنّة التي ينعتها السيّاق بأهم معالمها وهي الأنهار المتدفّقة فيها، والتي يمدحها السّياق «ونعم أجر العاملين» أي ونعم أجر العاملين الجنّات التي تمّ وصفها.

ثمّ يعود السّياق إلى الحديث عن غزوة أحد مبتدئاً بتسلية المؤمنين الّذين أصابهم القرح بأنّ لهم في الأولين عبراً وبصائر. إنّ الكفر قد تكون له جولة أو جولات ولكن العاقبة دائماً وأبداً للمتّقين. ويبيّن السيّاق أنّ القرآن الكريم بيانٌ للنّاس مؤمنهم وكافرهم، يعلم المؤمن به أنّ العاقبة له بإذن الله تعالى ، ويعلم الكافر أنّ عليه أن يعود إلى بارئه جلّ وعلا وإلّا أخذه أخذ عزيزٍ مقتدر، والقرآن الكريم بعد ذلك هدىً وموعظةٌ للمتّقين بخاصة.

وما دامت العاقبة للمتّقين فعليهم ألّايهنوا ولا يحزنوا لأنّهم الأعلون إن كانوا مؤمنين، وليعلم المؤمنون أنّ القرح الّذي أصابهم والّذي أصاب المشركين قرح مثله إنّما تمّ بإرادة الله تعالى ولحكمة اقتضتها مشيئته جلّ وعلا وليعلم الله تعالى علم ظهورٍ الّذين آمنوا ويتّخذ من المؤمنين شهداء على أيدي الظّالمين الّذين لا يحبّهم الله تعالى، ولينقّي الله تعالى المؤمنين ممّا علق بهم من شوائب وليمحق الكافرين إن لم يتوبوا إلى الله تعالى.

ويسأل السيّاق فيما يشبه الإنكار المؤمنين : «أم حسبتم أن تدخلوا الجنّة ولمّا يعلم الّذين جاهدوا منكم ويعلم الصّابرين» وهذا الاستفهام وإن كان متّجهاً إلى الصّحابة رضوان الله تعالى عليهم الّذين أصابهم القرح في أحد فإنه وراء ذلك يتّجه إلى المؤمنين في كلّ زمانٍ ومكان. ويكون الإنكار أشدّ حينما يصحّ أن يصدر مثل ذلك الظّنّ من الصّحابة رضوان الله تعالى عليهم الّذين كانوا يتمّنون الشّهادة وإنّ السّياق ليذكّرهم بتمنّيهم الموت من قبل أن يلقوه وهاهم أولاء قد رأوه وهم ينظرون إليه بأعينهم، فلا معني للجزع ولا مكان له، بل لا معني لفرار من فرّ في أحدٍ أمام المشركين. وينكر السّياق على الّذين خارت قواهم واستسلموا حينما ذاع بين النّاس أنّ محمداً ﷺ قد قتل، لأنّ محمّداً عليه الصّلاة والسّلام بشرٌ ورسولٌ قدخلت من قبله الرّسل ومضت ويصحّ عليه ماصحّ عليهم من موت وما صحّ على بعضهم – لو لا أن الله عصمه من النّاس – من قتل. فهل معني موته عليه الصّلاة والسّلام أو قتله انقلاب أولئك على أعقابهم وإرتدادهم إلى الكفر؟ إنّ دين الاسلام هو دين الله تعالى الّذي بعث به محمّداً عليه الصّلاة والسّلام وإنّ الله تعالى حيٌّ لا يموت وسيثيب جلّ وعلا الرّاسخي الايمان الصّابرين في البأساء والضّراء الشّاكرين الله تعالى في اليسر والعسر. ويفهم من الحديث عن موت محمد عليه الصّلاة والسّلام أو قتله أنّ له عليه الصّلاة والسّلام أجلًا محدداً في هذه الحياة الدّنيا. وهذا الفهم صرّح به السّياق ليس في حقّه عليه الصّلاة والسّلام وحده بل في حقّ كلّ نفس، وسيثاب كلّ على عمله يوم القيامة وسيجزى الله تعالى الشّاكرين. ويتحوّل السّياق إلى الكثير من النبيّين السّابقين الّذين قاتل معهم كثيرٌ من الرّبّيين العلماء الحلماء الحكماء الفقهاء الّذين ربّوا أنفسهم تربيةً دينيّةً صحيحةً وربّوا الآخرين تربيةً دينيّةً ابتغاء مرضاة ربّهم جلّ وعلا وتوّجوا علمهم الّذي ترجموه إلى عمل بالجهاد في سبيل الله تعالى فقاتلوا وقَتَلوا وقُتِلوا وأصابهم في سبيل الله تعالى الشّيء الكثير من النّصب والوصب فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله تعالى ولم يتطرّق إليهم الضّعف وماذلّوا لعدوّهم وما خضعوا وإنّ لكم أيّها الصّحابة فيهم قدوةً طيّبة فهلّا فعلتم في أحد مثلما فعلوا، وهلّا قلتم مثلما قالوا: «ربّنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وثبّت إقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين» وإنّ في قول الرّبّيين درساً في وجوب اليقظة ودرساً في وجوب التوكّل على الله تعالى. وكان ثواب الرّبّيين كبيراً جزاء إحسانهم «والله يحبّ المحسنين».

ويحذّر السّياق الّذين آمنوا من طاعة الّذين لا يرضيهم إلا أن يردوا المؤمنين على أعقابهم كافرين وأن ينقلبوا خاسرين. وصفة الكفر تشمل اليهود والنّصاري والمنافقين والكفّار. فالمؤمنون منهيّون عن طاعتهم ومنهيّون عن اتّخاذهم بطانةً لهم يوقفونهم على أسرارهم ويستنصحونهم. إنّ على المؤمنين ألّا يطيعوا إلّا المؤمنين وألّا يتّخذوا بطانةً إلّا المؤمنين وليعلموا أن الله سبحانه وتعالى هو مولاهم وهو خير النّاصرين. وكيف يتّخذ المؤمنون الكافرين أولياء وإنّ الله سبحانه يعد، ووعده الحقّ بأنّ يقذف في قلوبهم الرّعب في الدّنيا بسبب شركهم ويوعدهم في الآخرة بالنّار وبئس القرار.

ويتحدّث السّياق بعد ذلك عن صدق الله وعده المؤمنين بالنّصر إذ يقتلون المشركين بإذنه حتّى إذا جبنوا وضعفوا وتنازعوا في أمر النّبيّ ﷺ بعدم مغادرة الرّماة أماكنهم تحوّل النّصر بإذن الله تعالى الّذي يحبّون إلى هزيمة لأنّ من ترك من الرّماة مكانه كان يريد الدّنيا فعصا طمعاً في الغنيمة أمّا من أراد الآخرة فقد بقي في موضعه حتى استشهد، وقد صرف الله المؤمنين عن الكافرين وصرف الكافرين إلى المؤمنين ليبتلي جلّ وعلا المؤمنين الّذين عفا الله عنهم فضلاً منه جلّ وعلا حيث لم يستأصلهم . ويصوّر السّياق انهزام المسلمين المرير ويقرّر ثبات المصطفى ﷺ بطل الأبطال في الميدان داعياً المؤمنين: إليَّ عباد الله إليَّ عباد الله . واستشهد سبعون من المجاهدين، وجازى الله تعالى المؤمنين الّذين تفضّل عليهم جلّ وعلا بفضله فعفا عنهم ولم يستأصلهم، جازاهم غمّ ظنّهم أنّ نبيّهم ﷺ قد قتل وظنّهم ميل العدوّ عليهم لاستئصالهم كي يطرد بهذا الغمّ غمّ حزنهم على ما فاتهم من النّصر والغنيمة وعلى ما أصابهم من قتل وجراح. والمعروف أنّه استشهد من المؤمنين سبعون، ستّةٌ وستّون من الأنصار وأربعةٌ من المهاجرين .

ويتجاوز فضل الله سبحانه وتعالى على المؤمنين إثابة الغمّ بالغمّ إلى إنزال النعاس عليهم دليلاً على الأمن الّذى أسبغه الله تعالى عليهم ، بينما ازداد المنافقون همّا إلى همّهم وغمّاً إلى غمّهم فأخذوا يهرفون بما لا يعرفون وكشفوا بأقوالهم عن معتقداتهم ورغبتهم السابقة فى عدم القتال وعدم الخروج من المدينة إلى أحد وألّا لما قتل منهم من قتل . ويصحّح السّياق للمنافقين هذا الفهم غير الصحيح ويبيّن أنّ من كتب الله تعالى عليه القتل سوف يصادفه حتماً فى مضجعه الّذى برز إليه . وإنّ ما حصل فى أحد بقصد معرفة حقيقة ما فى الصّدور .

ويقرّر السّياق أنّ الّذين فرّوا يوم أحد إنمّا استجرّهم الشّيطان إلى هذه الخطيئة ببعض ذنوبهم ولقد عفا الله عنهم ، وهو الغفور الحليم . وينهى السّياق الّذين آمنوا عن أن يكونوا مثل المنافقين الّذين يقولون إن إخوانهم الضّاربين فى الأرض ابتغاء مرضاة الله تعالى ومرضاة رسوله والمجاهدين في سبيل الله تعالى: لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا. إنّ هذا القول لا يزيد المنافقين إلّا حسرة ولن يغيّر مما قضاه الله تعالى وقدّره ، ويقرّر السّياق أنّ المؤمنين الّذين يقتلون فى سبيله جلّ وعلا والّذين يموتون لهم من مغفرة الله تعالى ومن رحمته ما هو خير ممّا يجمع المنافقون من حطام الدّنيا الفانى ، وأن كلّ الّذين يموتون أو يقتلون إلى الله تعالى يُحشرون .

ويقرّر السّياق ثلاثاً من نعوت المصطفى ﷺ وهى لين الجانب وسماحة الخلق ورقّة القلب ، ويأمره بثلاث وهى عفوه عمّن ظلمه وأساء إليه ، وسؤاله الله تعالى المغفرة لأصحابه المؤمنين ، ومشاورتهم فى الأمر . والمعروف أنّ خروج المصطفى ﷺ إلى أحد كان نتيجة مشاورته عليه الصلاة والسّلام أصحابه . كما يقرّر السّياق أنّ النّصر من عند الله تعالى وحده لا شريك له فعلى المؤمنين أن يتوكّلوا على الله تعالى . وينفى السّياق أن يغلّ أحدٌ من أنبياء الله تعالى ويبيّن عقاب الغلول . وهذا درسٌ ذو علاقةٍ بموضوع هذه الآيات الكريمات وهو الجهاد فى سبيل الله تعالى . فعلى المؤمنين فى كلّ أمورهم ، ومنها الغنائم ، أن يبتغوا ما يؤدّى إلى رضوان الله تعالى وبطبيعة الحال لا يستوى هؤلاء ومن باء بسخط الله فدخل جهنّم . ثمّ إنّ أصحاب الجنّة درجات وأصحاب النّار دركات .

ويقرّر السّياق فضل الله تعالى على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولًا من أنفسهم يتلو عليهم آياته التي أوحاها جلّ وعلا إليه ويطهّرهم من ذنوبهم ويعلّمهم معاني الكتاب العزيز ويعلّمهم سنّته ﷺ وهم الّذين كانوا في ضلال مبين. وإذا كان الحديث عن نصر الله تعالى المؤمنين في بدرٍ قد أعقبه الحديث عن هزيمة أحد كي تخفّف النعمة ووجوب شكرهم من أثر المصيبة، فإنّ الشّيء ذاته يحدث هنا، فبعد الحديث عن من الله على المؤمنين ببعث خاتم الأنبياء والمرسلين يجيء الحديث عن درس أحد، وذلك من زاوية التذكير بكون المصيبة التي أصابتهم في أحد قد أصابوا مثليها من المشركين في بدر. وإنّ الّذي حل بهم في أحد من عند أنفسهم وبسبب عصيانهم أمر الرّسول ﷺ، وإنّ الّذي حلّ بهم بإذن الله تعالى وليعلم المؤمنين وليعلم المنافقين الّذين خذلوا المصطفى ﷺ والمؤمنين بقيادة شيخ المنافقين عبدالله ابن أبي ابن سلول، وكانوا يومئذ للكفر إقرب منهم للايمان. ويسجّل السّياق أقوال هؤلاء المنافقين بشأن الشهداء السّعداء زاعمين أنّهم لو أطاعوهم يعنى المنافقين ، وخذلوا النّبيّ ﷺ والمؤمنين كما فعل المنافقون لما قتلوا. ويطلب السّياق من المنافقين أن يدفعوا عن أنفسهم الموت الذي يفرّون منه ثمّ يكون حديث مستفيض عن شهداء أحد السّعداء وعن سائر الشهداء.

ويخاطب السّياق المصطفى ﷺ ابتداءً وإنّ كلّ فردٍ من أفراد أمّتة تبعٌ له في ذلك الخطاب بألّا يحسبنّ الّذين قتلوا في سبيل الله امواتاً بل أحياءٌ عند ربّهم يرزقون، فرحين بما آتاهم الله من فضله ويسرّون بالّذين لم يلحقوا بهم من خلفهم من الشّهداء السّعداء بأنّهم لا خوف عليهم مستقبلًا ولا هم يحزنون على ما تركوا وراءهم في الدّنيا. إنّهم يسّرون بنعمةٍ من الله وفضلٍ وأنّ الله لا يضيع أجر المؤمنين. ويخصّ السّياق بالثّناء المجاهدين في سبيل الله تعالى الّذين استجابوا لله والرّسول من بعد ما أصابهم قرح أحد فتتبّعوا العدوّ في اليوم التالي إلى حمراء الأسد وهي على بعد ثمانية أميال من المدينة، ويوعَدُ المحسنون المتّقون منهم بالأجر العظيم. إنّ أولئك المجاهدين المتوكلين على الله تعالى قال لهم النّاس إنّ كفّار مكة بقيادة أبي سفيان قد جمعوا لكم الجموع وهمّوا بالرّجوع لاستئصالكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل. فعادوا بنعمةٍ من الله سالمين، وفضل من الله حائزين على أكبر الأجر لم يمسسهم سوءٌ واتّبعوا رضوان الله والله ذو فضلٍ عظيم. ويبيّن السّياق أن مثل ذلك الكلام الّذي جرى على السنة النّاس إنّما هو الكلام الذي يجريه الشّيطان على ألسنة أوليائه ليخوّف به أولياءه، فعلى المؤمنين ألّا يخافوهم وأن يخافوا الله تعالى وحده لا شريك له وهو ما تحقّق فعلًا. وبقصد التّسرية عنه ﷺ يؤمر بألّا يَحْزَنَ لمسارعة المنافقين في الكفر. إنّهم لن

يضرّوا الله شيئاً، والله تعالى يريد ألّا يجعل لهم حظّاً في الآخرة ونصيباً في الجنّة لأن مصيرهم إلى النّار وبئس القرار. أمّا الّذين اشتروا الكفر بالايمان فعلًا واطمأنّوا له فلن يضرّوا الله شيئاً ولهم عذابٌ أليم. وأمّا العذاب المهين فمن نصيب الّذين ظنّوا إمّهال الله تعالى إهمالًا حتى ماتوا كافرين.

وتختم آيات درس أحد بتبيين حكمة الله من ابتلاء المؤمنين في مثل يوم أحد وهي أنّه لمّا كانت الحكمة تقتضي أن يميز الخبيث المنافق من الطيّب المؤمن، ولمّا كانت إرادة الله تعالى لم تشأ إطلاع المؤمنين على الغيب الّذي يعرفون عن طريقه صادق الايمان من سواهم فقد كانت الوسيلة للتّمييز هي الابتلاء الّذي تمّ يوم أحد. وفي هذا اليوم ظهر المؤمنون على حقيقتهم وافتضح المنافقون. وتختم الآية الكريمة بالطّلب من المؤمنين ألّا يكتفوا بمرحلة الإيمان وحدها بل أن يتجاوزوها إلى مرحلة التقوى وهي الوجه الآخر للإحسان بأن تعبد الله كأنّك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك. وتعد الآية الكريمة المؤمنين المتّقين بالأجر العظيم.

ويلحق بالآيات السّابقات الآية تمام السّتّين وفيها النّهي عن البخل والتحذير منه والحثّ على الإنفاق وبخاصةٍ في سبيل الله تعالى، والمعروف أنّ الجهاد يقوم على دعامين اثنتين الجهاد بالنّفس والجهاد بالمال. وهذه الآية تدعو إلى الجهاد بالمال في سبيل الله تعالى وإلى دفع حقّ الله تعالى منه وإلّا طوّق البخيل بماله يوم القيامة. ولله ميراث السّماوات والأرض والله بما تعملون خبير.

تعنّت أهل الكتاب وخيانتهم للأمانة

الآيات ١٨١ ـ ١٨٩

تحدّثت الآية الكريمة الأخيرة من آيات غزوة أحد عن المال ووجوب إنفاقه في سبيل الله تعالى باعتباره إحدى دعامتي الجهاد في سبيل الله تعالى، وانطلاقاً من المال يبدأ الحديث عن بني إسرائيل الّذين بلغت به الجراءة والوقاحة أن قالوا كما جاء في الآية الكريمة: إنّ الله فقيرٌ ونحن أغنياء! لقد سمع الله تعالى قولهم، وسيكتب الملائكة الموكلون بالكتابة ذلك، وسيكتبون قتلهم الأنبياء بغير حقّ ونقول يوم القيامة ذوقوا عذاب الحريق. ومع أنّ قتلة الأنبياءهم السّابقون فإنّ الخطاب إنّما اتجه إلى المعاصرين له ﷺ لرضاهم عن فعل الآباء ولاستعدادهم للقيام بالعمل ذاته لو تسنّى لهم ذلك. وإنّما كان ذلك العذاب من نصيبهم بسبب ما قدّمت إيديهم والله ليس بظلّامٍ للعبيد. ثمّ هم يتجاوزون معجزة القرآن الكبرى الخالدة إلى المعجزات الحسّيّة الّتي تقل عن القرآن دلالةً والّتي يعلمون أنّها لن تتحقّق لأنّ تحقّقها يعني استئصالهم فقد سبق إلى علمه جلّ وعلاأنّهم لن يؤمنوا ولم يشأ الله تعالى استئصالهم. أمّا المعجزة الحسّيّة الّتي فرّوا إليها فهي طلبهم تحقّق ما أوصاهم الله تعالى به ألّا يؤمنوا برسول حتّى يأتيهم بقربانٍ يقرّبه إلى الله تعالى فتنزل نارٌ من السّماء فتحرقه دليلًا على صدقه. وتردّ الآية الكريمة على القوم الّذي يشبهون سلفهم: قد جاءكم رسلٌ من قبلي بالبينات وبالّذي قلتم فلم قتلتموهم إن كنتم صادقين. لم قتلتم أولئك المرسلين الّذين جاءوكم بالبيّنات وبالقربان إن كنتم صادقين في زعمكم أنّكم تبحثون عن الحقيقة بواسطة أدلّة إضافية. ويسلّي السّياق المصطفى ﷺ بأنّ له أسوةً حسنة في الرّسل السّابقين الّذين صبروا لتكذيب أقوامهم بعد أن جاءوهم بالبيّنات والزّبر والكتاب المنير، ويستمر السّياق في تسليته ﷺ وذلك في القول: «كلّ نَفسٍ ذائقة المَوت» وفي التحذير والإنذار والتّبشير «وإنّما توفّون أجوركم يوم القيامة فمن زحزح عن النّار وأدخل الجنّة فقد فازوما الحياة الدّنيا إلّا متاع الغرور». وامتداداً للتّسلية، بما في ذلك ما يسمعه المسلمون من أهل الكتاب من أذى يقرّر السّياق مشيئة الله تعالى أن يبتلي المؤمنين في أموالهم وأنفسهم فعلى المؤمنين أن يتّقوا ويصبروا، بما في ذلك الصّبر على ما يسمعونه من أذىً من أهل الكتاب ومن المشركين. ويبيّن السّياق أن السبب وراء موقف أهل الكتاب المناوىء للدّعوة إلى صراط العزيز الحميد هو نبذهم للميثاق الّذي أخذه الله تعالي عليهم بأن يبيّنوا معني كلّ من التوراة والإنجيل وألّا يكتموا شيئاً بما في ذلك نعته ﷺ في هذين الكتابين السّماويّين. لقد اشتري أهل

الكتاب، علماؤهم بخاصّة بذلك العهد المنبوز ثمناً قليلًا في هيئة مالٍ ذاهب أوجاهٍ زائل أو منصبٍ ماض. «فبئس ما يشترون» ويلحق بذلك البيع الخاسر فرح أهل الكتاب بالمعلومات الخاطئة التي يتعمدون إذاعتها ونشرها حرصاً على الثّمن القليل الّذي اشتروه وحبّهم أن يحمدوا على إدلائهم بتلك المعلومات الخاطئةوعلى ما فعلوا ممّا يستحق ذمّاً لا مدحاً على غرار كتمهم عليه الصّلاة والسّلام علماً سألهم عنه وإدلائهم بمعلومات كاذبةٍ خاطئة ومع ذلك هم أروه أن قد أخبروه بما سألهم عنه وأحبّوا أن يحمدوا على كذبهم. وإن المنافقين إخوان اليهود يشتركون معهم في هذه الصّفة السّيّئة، فهم يفرحون بمقعدهم خلاف رسول الله ﷺ ويعتذرون إليه بالكذب إذا رجع ويحبّون أن يحمدوا بما لم يفعلوا. إنّهم يستحقّون العذاب الأليم في الدّنيا والآخرة. وهذه الآية الكريمة: «والله ملك السّماوات والأرض والله على كل شيءٍ قدير» تكذّب اليهود الّذين قالوا كما جاء على لسانهم من قبل، لعنهم الله: «إنّ الله فقيرٌ ونحن أغنياء».

خواتيم سورة آل عمران
الآيات ١٩٠ - ٢٠٠

بيّنت الآية الكريمة السّابقة أنّ لله سبحانه وتعالى ملك السّماوات والأرض. ويبدأ السّياق هنا بتبيين أن في خلق السّماوات السبع والأرضين واختلاف اللّيل والنّهار لوناً وطولًا وقصراً لآياتٍ لأولى الباب. ثمّ يذكر السّياق بعض نعوت أولى الألباب. إنّ لقلوب أولى الألباب حظّاً موفوراً من ذكر الله تعالى في حال الصّحّة والمرض في الصّلاة وفي غير الصّلاة قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم. وإنّ لعقول أولى الألباب حظّاً موفوراً من التفكّر في خلق السّماوات والأرض ولا يملكون ألسنتهم التي تنفجر معبرةً عمّا امتلأت به جوانحهم من إكبارٍ وإجلال قائلة: ربّنا ما خلقت هذا باطلًا سبحانك فقنا عزاب النّار. وإنّ لهم في المصطفى ﷺ أسوةً حسنة الّذي كان حينمايستيقظ في ثلث اللّيل الأخير ويقعد وينظر في السّماء يقرأ: إنّ في خلق السّماوات والأرض إلى نهاية سورة آل عمران، ثمّ يستعدّ للصّلاة ويصلّى إحدى عشرة ركعة حتّى أذان الفجر. إنّهم حينما يسألون الله تعالى أن يقيهم عذاب النّار فلأنّهم على علم بأن دخول النّار خزيٌ ليس وراءه خزي، وإنّ وسيلة أولى الألباب للنجاة من خزي الآخرة بفضل الله تعالى هو أنّهم حينما سمعوا محمّد بن عبد الله ﷺ رسول ربّ العالمين ينادي إلى الإيمان آمنوا. وهم وراء ذلك يذكرون جيداً ذنوبهم وسيّآتهم فيسألون الله تعالى أن يغفرلهم ذنوبهم ويكفّر عنهم سيّآتهم وأن يتوفّاهم مع الأبرار، الّذين برّوا الله تعالى بطاعته حتى رضي عنهم. وهم يسألون الله سبحانه وتعالى أن يعطيهم ما وعدهم على ألسنة رسله بأن يدخلهم الجنّة فضلًا منه تعالى إن هم أطاعوه وألّا يخزيهم بدخول النّار إنّه جلّ وعلا لا يخلف الميعاد. وما أكثر ما يتردّد على ألسنة أولى الألباب من هذا الدّعاء النّداء الحبيب إلى قلوبهم «ربّنا»

ويبيّن السّياق أنّ الله سبحانه وتعالى قد استجاب دعاء أولى الألباب وبيّن تعالى أنّه لا يضيع عمل عاملٍ من ذكر أو أنثى. ويخصّ السّياق من بين أولى الألباب الّذين احسنوا العمل، المهاجرين في سبيل الله تعالى الّذي أخرجوا من ديارهم وأوذوا في سبيله جلّ وعلا وقاتلوا وقتلوا. إنّ الله تعالى سيكفّر عنهم سيّآتهم وسيدخلهم جناتٍ تجرى من تحتها الأنهار ثواباً من عند الله. ويلاحظ أنّ الجواب على أولى الألباب الّذين يكثرون من القول «ربّنا» يجيء فيه لفظ الرّب وذلك في القول: «فاستجاب لهم ربّهم» والمعني فأجابهم ربّهم.

وبما أنّ المجاهدين في سبيل الله تعالى. وفي مقدمتهم المهاجرون، وفي مقدمتهم المصطفى ﷺ قد تتبعهم المشركون حتّى عقر دارهم في المدينة المنورة بأذاهم على غرار ما تمّ في أحد، فإنّ السّياق يخاطب المصطفى ﷺ ابتداءً بأنّ عليه ألا يغتر بتقلّب الّذين كفروا في

البلاد وألّا يصرفه إمهال الله تعالى لهم عن العاقبة الوخيمة الّتي تنتظرهم إن لم يعودوا فوراً إلى بارئهم جلّ وعلا. إنّ النعيم الّذي يتقلّبون فيه بإرادة الله تعالى هو متاع في الدّنيا قليل لأنّ مصيره إلى الزّوال ولأن مآلهم إلى جهنّم وبئس المهاد. أمّا المؤمنون المتّقون وإن كان الله تعالى قد قدر عليهم الرّزق في الدّنيا فإنّ لهم جناتٍ تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها نزلًا من عند الله. وما عند الله خير للأبرار. وسبق أن جاء على لسان أولى الألباب القول: «وتوفّنا مع الأبرار».

وإذا كان أهل الكتاب في مجموعهم خانوا الأمانة وكتموا العلم ونقضوا الميثاق فإنّ منهم فئةً قليلةً لم تخن الأمانة وصدعت بالحقّ وجهرت بنعت المصطفى ﷺ الموجود في التوراة والإنجيل. وإنّ السّياق ليثنى على هذا الفريق من أهل الكتاب الّذي يؤمن بالله وبالكتاب السّماوي الّذي أنزله الله على محمّد ﷺ وبالكتاب السّماوي الّذي أنزله الله على موسى وعيسى عليهما الصّلاة والسّلام، لأنّهم لم يشتروا بآيات الله ثمناً قليلًا، ويبيّن أنّهم سوف يؤتون أجرهم مرّتين، أجر الإيمان برسول الله تعالى إليهم وأجر الإيمان بمحمّد ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين. وحينما تتحدّث السّورة الكريمة في أوّلها عن هذه الكتب السّماويّة يكون ثمّة ترابط في هذا الجانب بين أوّل السّورة الكريمة وآخرها. وحينما تثنى السّورة الكريمة في أثنائها على مؤمنى أهل الكتاب يكون ثمّة ترابطٌ آخر.

وتختم السّورة الكريمة الّتي عنيت فيما يزيد على السّتّين آية بالحديث عن الجهاد في سبيل الله وعن غزوة أحد، تختم بأمر المسلمين أن يصبروا وبخاصة في ميدان الجهاد في سبيل الله تعالى وأن يصابروا الكافرين فلا ينبغي أن يكونوا أصبر منّا على الجهاد، وأن يرابطوا في الثّغور ويحموا الحدود وأن يتّقوا الله تعالى لعلّهم يفلحون.

إنّ الآية الكريمة في السّورة بل إنّ آخر أمرٍ في الآية الكريمة لا يريد للمؤمنين أن يقنعوا بأقل من مرتبة التّقوى الّتي تكاد تساوي مرتبة الإحسان بأن تعبد الله كأنّك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك. إنّ المؤمنين عن طريق الصبر والمصابرة والمرابطة والتّقوى لعلّهم يفلحون ويفوزون بأن يزحزحوا من النّار ويدخلوا الجنّة. نسأل الله تعالى أن يجعلنا من أهل الجنّة إنّه على كلّ شيءٍ قدير.

التفسير

تصحيح أخطاء أهل الكتاب وتحذير المؤمنين من طاعتهم

الآيات ٩٣ - ١٠١

﴿ كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسۡرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ مِن قَبۡلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوۡرَىٰةُۚ قُلۡ فَأۡتُواْ بِٱلتَّوۡرَىٰةِ فَٱتۡلُوهَآ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾ ٩٣

كان حِلًّا : كان حلالًا (١)

إسـرائيل : يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم خليل الرّحمن (٢)

التّوراة : الكتاب السّماوي الّذي أنزله الله تعالى على موسى عليه السّلام (٣)

تحدّثت الآيات الكريمات السّابقات عن النّصارى وغلوّهم في عيسى ابن مريم عليه السّلام، وبيّنت وجه الصّواب في عيسى عليه السّلام وكونه عبد الله ورسوله وكلمته القاها إلى مريم وروحاً منه، وفي العديد من المسائل المهمّة الأخرى. ويتحوّل السّياق إلى بني إسرائيل ويبيّن لهم وجه الحقّ في العديد من المسائل. ومن بينها المسألة الّتي تتحدّث عنها الآية الكريمة.

تبيّن الآية الكريمة أنّ كلّ الطعام كان حلالًا لبني اسرائيل وهم أولاد يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم. إلّا ما حرّم يعقوب عليه السّلام على نفسه من قبل أن تنزل التّوراة على موسى عليه السّلام. عن ابن عباس أنّ عصابةً من اليهود حضرت رسول الله ﷺ فقالوا: يا أبا القاسم، أخبرنا أي الطّعام حرّم اسرائيل على نفسه من قبل أن تنزّل التّوراة؟ فقال رسول الله ﷺ: أنشدكم (٤) بالّذي أنزل التّوراة على موسى: هل تعلمون أنّ اسرائيل يعقوب مرض مرضاً شديداً فطال سقمه منه فنذر لله نذراً لئن عافاه الله من سقمه ليحرّمنّ أحبّ الطّعام والشّراب إليه، وكان أحبّ الطّعام إليه لحمان (٥) الإبل وأحبّ الشّراب إليه ألبانها؟ فقالوا اللّهمّ نعم (٦)

(١) الجلالين

(٢) تفسير الطّبريّ ٤/٣ وتفسير ابن كثير ١/٣٨٢

(٣) تفسير ابن كثير ١/٣٨١

(٤) يقال: نَشَدَه الله وبالله: استحلفه أي سأله وأقسم عليه بالله. ونَشَدَ الرَّجُلَ نَشداً: قال له: أَنْشُدُكَ الله وأَنْشُدُكُم بالله: أستحلفكم.

(٥) لحمان بضمّ اللّام جمع لحم بسكون الحاء وتحريكها.

(٦) تفسير الطّبريّ ٤/٥ وانظر تفسير ابن كثير ١/٣٨١

عن ابن عباس أنّ إسرائيل أخذه عرْق النّسا (١) فكان يبيت باللّيل له زقاء (بضمّ الزّاي) يعني صبياح، قال: فجعل على نفسه لئن شفاه الله منه لا يأكله، يعني لحوم الإبل، قال: فحرّمه اليهود وتلا هذه الآية (٢) عن ابن عباس في : إلّا ما حرّم اسرائيل على نفسه قال: حرّم العروق ولحوم الإبل. قال: كان به عرق النّسا فأكل من لحومها فبات بليلةٍ يزقو فحلف ألّا يأكله أبدا (٣) قال: فلذلك اليهود تنزع العروق من اللحم (٤) وعن قتادة: فتتبّعت بنوه العروق بعد ذلك يخرجونها من اللحم (٥) ويقال: إنّ العروق كلّها تبع لذلك العرق (٦) ويقول ابن جرير (٧) «يعني بذلك جلّ ثناؤه أنه لم يكنّ حرّم على بني اسرائيل ... شيئاً من الأطعمة من قبل أن تنزّل التّوراة. بل كان ذلك كله لهم حلالًا إلّا ما كان يعقوب حرّمه على نفسه فإنّ ولده حرّموه استناناً بأبيهم يعقوب من غير تحريم الله ذلك عليهم في وحي ولا تنزيل ولا على لسان رسول له إليهم من قبل نزول التّوراة . ثمّ اختلف أهل التأويل فى تحريم ذلك عليهم هل نزل في التّوراة أم لَا . فقال بعضهم لمّا أنزل الله عزّ وجلّ التّوراة حرّم عليهم من ذلك ما كانوا يحرّمونه قبل نزولها... وقال آخرون ما كان شيءٌ من ذلك عليهم حراماً ولا حرّمه الله عليهم في التّوراة وإنّما هو شيءٌ حرّموه على أنفسهم اتّباعاً لأبيهم ثمّ أضافوا تحريمه إلى الله فكذّبهم الله عزّ وجلّ في إضافتهم ذلك إليه فقال الله عزّ وجلّ لنبيّه محمّد ﷺ : قل لهم يا محمّد إن كنتم صادقين فاتوا بالتّوراة فاتلوها حتى ننظر هل ذلك فيها أم لا ليتبيّن كذبهم لمن يجهل أمرهم .... قال أبو جعفر: وأولى الأقوال في ذلك عندنا بالصّواب قول من قال: معني ذلك كل الطعام كان حلًا لبني اسرائيل من قبل أن تنزل التّوراة إلّا ما حرّم إسرائيل على نفسه من غير تحريم الله ذلك عليه فإنه كان حراماً عليهم بتحريم أبيهم إسرائيل ذلك عليهم من غير أن يحرّمه الله عليهم في تنزيل ولا بوحي قبل التّوراة حتّى نزلت التّوراة فحرّم الله عليهم فيها ماشاء وأحلّ لهم فيها ما أحب. وهذا قول قالته جماعة من أهل التأويل، وهو معني قول ابن عباس».

(١) النّسا، بفتح النّون: عِرْقٌ من الوَرِك إلى الكَعْب.
(٢) تفسير الطّبريّ ٤/ ٥
(٣) تفسير الطّبريّ ٤/ ٥
(٤) تفسير الطّبريّ ٤/ ٤
(٥) تفسير الطّبريّ ٤/ ٤
(٦) تفسير الطّبريّ ٤/ ٤
(٧) تفسير الطّبريّ ٤/ ٣٠٢

وهكذا نستطيع أن نتبيّن من الآية الكريمة أنّ كلّ الطّعام كان حلًا لبني إسرائيل، وهو يعقوبٌ عليه السّلام ابن اسحاق بن إبراهيم عليهما السّلام، إلّا ما حرّم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التّوراة على موسى عليه السّلام وقد «حرّم إسرائيل على نفسه لحوم الإبل وألبانها فأتبعة بنوه في ذلك وجاءت التوراة بتحريم ذلك، وأشياء أخر زيادةً على ذلك» (١) وقد جاء في سورة النّساء (٢) قوله تعالى: «فبظلم من الّذين هادوا حرّمنا عليهم طيباتٍ أحلّت لهم وبصدهم عن سبيل الله كثيراً. وأخذهم الرّبا وقدنهوا عنه وأكلهم أموال النّاس بالباطل وأعتدنا للكافرين منهم عذاباً أليما» وجاء في سورة النّحل (٣) قوله تعالى: «وعلى الّذين هادوا حرّمنا ما قصصنا عليك من قبل وما ظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون» والإشارة هنا إلى ما جاء في سورة الانعام (٤) في قوله تعالى: «وعلى الّذين هادوا حرّمنا كل ذي ظفر ومن البقر والغنم حرّمنا عليهم شحومهما إلّا ما حملت ظهورهما أو الحوايا أو ما اختلط بعظم. ذلك جزيناهم ببغيهم وإنّا لصادقون» والمعني أنّ الله سبحانه وتعالى حرّم على اليهود كل ذي ظفر وهو ما لم تفرق أصابعه كالإبل والنّعام ومن البقر والغنم حرّمنا عليهم شحومها، وهي الثروب (٥) وشحم الكلي (٦) إلّا ما حملت ظهورهما أي ما علق بها منه أو حملته الحوايا وهي الأمعاء أو ما اختلط بعظم منه وهو شحم الأليّة (٧) فإنّه أحلّ لهم (٨)

(١) تفسير ابن كثير، ١ /٣٨٢

(٢) الآية ١٦٠، ١٦١

(٣) الآية ١١٨

(٤) الآية ١٤٦

(٥) الثّروب بضمّ الثّاء جمع الثّرب بفتح الثّاء وسكون الرّاء وهو الشّحم الرّقيق الذي على الكرش والأمعاء.

(٦) الكلي بضمّ الكاف جمع الكلية والكلوة بضمّ الكاف فيهما.

(٧) الأليّة بفتح الهمزة: ماركب العجز وتدلّى من شحم ولحم.

(٨) انظر الجلالين

فَمَنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩٤﴾

في ضوء فهم القول في الآية الكريمة السابقة: «قل فأتوا بالتّوراة فاتلوها إن كنتم صادقين» بأنّ المطلوب منه ﷺ أن يقول لبني إسرائيل: إن كنتم صادقين في زعمكم بأنّ التّحريم إنّما كان على عهد ابراهيم عليه السّلام وليس من جهة يعقوب عليه السّلام، فأتوا بالتّوراة فاتلوها فإنّ فيها الدليل على صدق ما أوحى الله تعالى به إليّ في هذا الشّأن، في ضوء هذا الفهم نستطيع أن نذهب إلى أن الآية الكريمة التي نحن بصددها تبيّن أن من افترى على الله الكذب من بني إسرائيل من بعد ما تبيّن لهم الحقّ فأصروا على الزّعم بأن ذلك التحريم لبعض الأطعمة إنّما كان على عهد ابراهيم عليه السّلام وليس من جهة يعقوب عليه السّلام فإنّ أولئك هم الظّالمون حقّاً الّذين يضعون الأمور في غير مواضعها والّذين يجادلون بالباطل من أجل الأهواء التي في نفوسهم، والّذين يظلمون أنفسهم ويظلمون غيرهم.

وإنّما يصرّ بنو إسرائيل على هذا الزّعم الّذي ثبت بطلانه لما يترتب على اتّباع الحقّ من اتّباع ابراهيم عليه السّلام أبي الأنبياء والّذي بعث محمد بن عبد الله ﷺ بحنيفيّة السّمحة كاملة غير منقوصة. وإنّ الآية الكريمة التّالية مسعفة على مثل هذا النوع من الفهم.

قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ ۗ فَٱتَّبِعُوا۟ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٥﴾

تستمر الآية الكريمة على غرار الآية الكريمة قبل السابقة في خطابها للمصطفى ﷺ بالقول في الموضعين «قل» جاء من قبل قوله تعالى: «قل فأتوا بالتّوراة فاتلوها إن كنتم صادقين» ويجيء هنا القول: «قل صدق الله» وعليه يكون بنو إسرائيل المعنيّين في هذا الموضع في المقام الأول وذلك على غرار كونهم المعنيّين في الموضع السابق. والمعني: قل يا محمّد صدق الله تعالى في كل ما أوحى به، ومن ذلك كون كلّ الطّعام كان حلًا لبني إسرائيل حتّى حرّم يعقوب عليه السّلام على نفسه ماشاء الله تعالى له أن يحرّم. فاتّبعوا يا بني إسرائيل ملّة ابراهيم عليه السّلام حنيفاً وما كان من المشركين. والخطاب في القول: «فاتّبعوا ملّة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين» إذا كان يتجه بطريق الأولى والأحرى إلى بني إسرائيل فإنّه وراء ذلك يتّجه إلى كلّ أهل الكتاب وإلى سواهم. إنّ عليهم أن يتّبعوا جميعاً إبراهيم عليه السّلام الّذي أجمعت على صحة دينه كلّ الجماعات، والّذي بعث الله تعالى محمّد بن عبد الله ﷺ بحنيفيّته السّمحة الكاملة. وتنفى الآية الكريمة عن إبراهيم عليه

السّلام الإشراك مع الله تعالى سواه: «وما كان من المشركين» وفي ذلك تعريض ببني إسرائيل وبالنّصاري وبمشركي العرب وسواهم من المشركين. والآية الكريمة تذكّرنا بقوله تعالى في سورة البقرة (١): «وقالوا كونوا هوداً أو نصارى تهتدوا. قل بل ملّة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين» فإبراهيم عليه السّلام قد جاء بالحنيفيّة السّمحة المستقيمة الّتي مال بها عن كلّ دين باطل واتّجه بها إلى الدّين الحقّ. وإن اليهود والنّصارى الّذين يطلبون من المسلمين أن يكونوا هوداً أو نصارى إن أرادوا أن يهتدوا تأمرهم الآية الكريمة أن يتّبعوا ملّة إبراهيم حنيفاً وتعرّض بهم هي الأخرى في القول: «وما كان من المشركين» والمعروف أنّ من بني إسرائيل من عبد العجل ومن قال إنّ عزيزاً ابن الله، وأنّ النّصارى يقولون إنّ عيسى ابن مريم ابن الله وفيهم من يعبده، وأنّ العرب قبل الاسلام يشركون مع الله تعالى سواه. وإنّ الآية الكريمة الّتي نحن بصددها تفصح بما فهم من آية البقرة من أمرباتّباع ملّة إبراهيم حنيفاً. والمعروف أن المصطفى ﷺ قد أمره الله تعالى بأن يتّبع ملّة إبراهيم حنيفاً. قال تعالى (٢): «ثمّ أوحينا إليك أن اتّبع ملّة إبراهيم حنيفاً وماكان من المشركين» وقال تعالى (٣): «قل إنّني هداني ربّي إلى صراطٍ مستقيم. ديناً قيماً ملّة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين. قل إنّ صلاتي ونُسُكي ومحياي ومماتي لله ربّ العالمين. لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أوّل المسلمين»

(١) الآية ١٣٥
(٢) سورة النّحل ١٢٣
(٣) سورة الأنعام ١٦١ - ١٦٣

إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي
بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾

بكّة من أسماء مكة على المشهور . قيل : سمّيت بذلك لأنّها تبكّ أعناق الظّلمة والجبابرة (١) أى تدقّها (٢)

أهل الكتاب قومٌ خصمون. فمع أنّ الآيات الكريمات السّابقات يتّضح منها ومن غيرها من آيات كريمات، سبق إبراهيم عليه السّلام وحنيفيّته السّمحة وقبلته كلًّا من اليهوديّة والنّصرانيّة، فإنّ ممّا يعلنه أهل الكتاب القول بأنّ قبلتهم قبل قبلة المسلمين، مع علمهم بأنّ إبراهيم عليه السّلام يسبق زمناً كلًا من موسى وعيسى عليهما السّلام، وبأن محمداً ﷺ قد بعثه الله تعالى بالحنيفيّة السّمحة ملّة إبراهيم عليه السّلام. وهاهي ذي الآية الكريمة تقرّر هذه الحقيقة وتبيّن أن أول بيتٍ وضعه الله سبحانه وتعالى لعبادته جلّ مملا وحده لا شريك له بيت الله تعالى في مكّة المكرّمة، الّذي بناه إبراهيم وإسماعيل بأمرٍ منه تعالى على نحو ما بيّنت سورة البقرة الكريمة (٣) روى الامام أحمد عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله أي مسجدٍ وضع أوّل؟ قال المسجد الحرام. قلت: ثمّ أيّ؟ قال: المسجد الأقصى. قلت: كم بينهما؟ قال: أربعون سنة. قلت: ثمّ أي؟ قال: ثمّ حيث أدركتك الصّلاة فصلّ فكلّها مسجد. وأخرجه البخاري ومسلم (٤) ويقال إنّ أوّل من بني البيت الحرام وأسسه الملائكة الكرام (٥)

(١) تفسير ابن كثير ١/٣٨٣
(٢) الجلالين
(٣) سورة البقرة الآيات ١٢٤ - ١٢٩
(٤) تفسير ابن كثير ١/٣٨٣
(٥) انظر تفسير القرطبي ص ٥٠٦ فما بعدها.

إنّ هذا البيت العتيق الّذي بنته الملائكة ابتداءً ورفع إبراهيم وإسماعيل عليهما السّلام قواعده هو أوّل بيت وضعه الله تعالى لعبادته جلّ وعلا وحده لا شريك له، وقد جعله الله تعالى مباركاً وهدىً للعالمين، كما أنّه جلّ وعلا أكرم جيران بيته العتيق بأن أطعمهم من جوعٍ وآمنهم من خوف، وجعل أفئدةً من النّاس تهوى إليه وتسبق تلك الأفئدة الأجساد. إنّ على كلّ من اليهود والنّصارى، الّذين يزعمون أنّ قبلتهم قبل، أن يتّجهوا في صلاتهم إلى بيت الله الحرام بعد أن يتحوّلوا مسلمين لله ربّ العالمين، وبعد أن يتّبعوا محمّد بن عبد الله ﷺ خاتم النبيّين الّذي أمره الله تعالى أن يتّجه في صلاته شطر المسجد الحرام. وإنّ على العرب الّذين يشركون مع الله تعالى سواه أن يتجهوا في صلاتهم شطر المسجد الحرام بعد أن يتّبعوا محمّد بن عبد الله ﷺ عماد مجدهم وأصل سؤددهم. وإنّ على كلّ النّاس أن يتّبعوا أشرف الأنبياء والمرسلين الّذي بعثه الله تعالى للنّاس كافة رحمة للعالمين وقد قال عزّ من قائلٍ (١): «قل يأيّها النّاس إنّي رسول الله إليكم جميعاً» وقال تعالى (٢): «وما أرسلناك إلّا رحمةً للعالمين».

وباتّباع المصطفى ﷺ يتّجه النّاس في قبلتهم إلى أول بيتٍ وضع للنّاس ويطبّقون كلّ أركان الاسلام ومنها الحجّ إلى بيت الله تعالى الحرام، الرّكن الخامس من أركان الاسلام، الّذي تحدّثت عنه الآية الكريمة التّالية.

(١) سورة الأعراف ١٥٨

(٢) سورة الأنبياء ١٠٧

فِيهِ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ
إِبْرَٰهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ
مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ
﴿٩٧﴾

مقام إبراهيم: «المقام في اللّغة موضع القدمين. قال النّحاس: مقام من قام يقوم، يكون مصدراً واسماً للموضع. ومُقام من أقام .... واختلف في تعيين المقام على أقوال أصحّها أنّه الحجر الّذي تعرفه النّاس اليوم الّذي يصلّون عنده ركعتي طواف القدوم. وهذا قول جابر بن عبد الله وابن عباس وقتادة وغيرهم... وفي البخاري أنّه الحجر الّذي ارتفع عليه إبراهيم حين ضعف عن رفع الحجارة التي كان إسماعيل يناولها أياه في بناء البيت وغرقت قدماه فيه. قال أنس : رأيت فى المقام أثر أصابعه وعقبه وأخمص قدميه غير أنه أذهبه مسح النّاس بأيديهم » (١)

حجّ البيت: أصل الحج القصد للزّيارة وخصّ في تعارف الشّرع بقصد بيت الله تعالى إقامةً للنّسك فقيل الحج بفتح الحاء والحجّ بكسر الحاء (٢) ويقول الطّبريّ (٣): «واختلف القرّاء في قراءة الحج فقرأ ذلك جماعةٌ من قرّاء أهل المدينة والعراق بالكسر: ولله على النّاس حجّ البيت. وقراء ذلك جماعةٌ أخر منهم بالفتح: ولله على النّاس حجّ البيت. وهما لغتان معروفتان للعرب. فالكسر لغة أهل نجد والفتح لغة أهل العالية» والحجّ هو قصد مكّة لأداء عبادة الطّواف والسّعي والوقوف بعرفة وسائر المناسك استجابة لأمر الله وابتغاء مرضاته. وهو أحد أركان الاسلام الخمسة، وفرضٌ من الفرائض الّتي عُلِمت من الدّين بالضّرورة. والمختار لدى جمهور العلماء أنّ إيجابه كان سنة ستّ بعد الهجرة، لأنّه نزل فيها قوله تعالى: «وأتّموا الحجّ والعمرة لله» ورجّح ابن القيّم أنّ افتراض الحجّ كان سنة تسع أو عشر (٤)

(١) تفسير القرطبي ص ٤٩٨
(٢) مفردات الرّاغب الأصفهاني ص ١٠٧
(٣) تفسير الطّبريّ ٤/ ١٣
(٤) أنظر فقه السنّة ١/ ٥٢٧

واتّفق الفقهاء على أنّه يشترط لوجوب الحج الشروط الآتية:
١ – الاسلام ٢ – البلوغ ٣ – العقل ٤ – الحرّيّة ٥ – الاستطاعة
وتتحقّق الاستطاعة بما يأتي:
١ – أن يكون المكلّف صحيح البدن ٢ – أن تكون الطّريق آمنة بحيث يأمن الحاج على نفسه وماله ٣، ٤ – أن يكون مالكاً للزّاد والرّاحلة.

والمعتبر في الزّاد أن يملك ما يكفيه ممّا يصحّ به بدنه، ويكفي من يعوله كفايةً فاضلةً عن حوائجه الأصليّة، من ملبس ومسكن ومركب وآلة حرفة حتّى يؤدي الفريضة ويعود.

والمعتبر في الرّاحلة أن تمكّنه من الذّهاب والإياب، سواء أكان ذلك عن طريق البرّ أو البحر أو الجو. وهذا بالنسبة لمن لا يمكنه المشي لبعده عن مكّة. فأمّا القريب الّذي يمكنه المشي فلا يعتبر وجود الرّاحلة في حقّه لأنّها مسافة قريبة يمكنه المشي إليها (١)

بيّنت الآية الكريمة السّابقة أنّ أوّل بيتٍ وضعه الله تعالى في الأرض لعبادته جلّ وعلا وحده لا شريك له هو البيت الحرام. وفي هذه الآية الكريمة التّالية يتبيّن أنّ في هذا البيت الحرام آياتٍ بيّنات وعلاماتٍ واضحات منها مقام إبراهيم، وهو الحجر الّذي قام إبراهيم عليه السّلام عليه وهو يبنى البيت الحرام ومعه ابنه إسماعيل عليه السّلام، والّذي يصلّى لديه

(١) انظر فقه السنّة ١/ ٥٣٠، ٥٣١

امتثالًا لقوله تعالى (١): «واتّخذوا من مقام إبراهيم مصلّى» كما يتبيّن أنّ الله سبحانه وتعالى قد جعل البيت الحرام أمناً كما قال تعالى (٢): «وإذ جعلنا البيت مثابةً للنّاس وأمناً» فمن دخل البيت الحرام كان آمناً على دمه وماله وعرضه ووجد فيه منتهى الطمأنينة والبهجة والانشراح. والمعروف أنّ الأمن من الخوف قسيم الإطعام من الجوع. وقد من الله سبحانه وتعالى بهاتين النّعمتين الكبريين على هذا البلد الأمين. قال تعالى (٣): «لإيلاف قريش. إيلافهم رحلة الشّتاء والصّيف. فليعبدوا ربّ هذا البيت، الّذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف» وهاتان النّعمتان قد خصّ الله تعالى بهما البلد الأمين منذ بناء بيته العتيق، ومن هنا كانت مكّة المكرّمة البلد الوحيد الآمن في جزيرة العرب قبل الاسلام. وقد قال تعالى (٤): «أو لم يروا أنّا جعلنا حرماً آمناً ويتخطّف النّاس من حولهم. أفبالباطل يؤمنون وبنعمة الله يكفرون» وقال تعالى (٥): «وقالوا إن نتّبع الهدى معك نتخطّف من أرضنا. أو لم نمكّن لهم حرماً آمناً يُجْبى إليه ثمرات كلّ شيءٍ رزقاً من لدنّا ولكنّ أكثرهم لا يعلمون»

وهذا البيت العتيق قد جعل الله تعالى حجّه وقصد مكّة لأداء الرّكن الخامس من أركان الإسلام حقّاً له جلّ وعلا. قال تعالى: «ولله على النّاس حجّ البيت من استطاع إليه سبيلًا» والآية الكريمة تستعمل لفظ «النّاس» فعلى جميع النّاس أن يحجّوا. ومن شروط الحج الإسلام

(١) سورة البقرة ١٢٥
(٢) سورة البقرة ١٢٥
(٣) سورة قريش ١ – ٤
(٤) سورة العنكبوت ٦٧
(٥) سورة القصص ٥٧

فعلى جميع النّاس أن يدخلوا في دين الاسلام الّذي بعث الله تعالى به خاتم أنبيائه ورسله محمّداً ﷺ والنّاسخ لسائر الدّيانات. ومن رحمة الله تعالى بالنّاس، وهو جلّ وعلا الّذي كتب على نفسه الرّحمة، أنّه تعالى قيّد الحجّ إلى بيته الحرام بالاستطاعة، وهي الصّحة وأمن الطّريق وملك الزّاد والرّاحلة. «عن على بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: من ملك زاداً وراحلةً فلم يحجّ مات يهوديّاً أو نصرانيّاً. وذلك أنّ الله يقول في كتابه: ولله على النّاس حجّ البيت من استطاع إليه سبيلا» (١)

وما أكثر الأحاديث النبويّة في فضل الحجّ وجزيل ثوابه فهو من أفضل الأعمال وهو جهاد، وهو يمحق الذّنوب. عن أبي هريرة قال. قال رسول الله ﷺ: من حجّ فلم يَرفُثْ ولَم يَفسُق رجع كيوم ولدته أمّه. رواه البخاري ومسلم (٢)

والآية الكريمة تبيّن أن من كفر فأنكر الحجّ وجحد كونه ركناً من أركان الاسلام أو كفر بالحجّ فلم يرحجّه برّاً ولا تركه مأثماً كما قال ابن عباس (٣) فإنّ الله سبحانه وتعالى غنيّ عن العالمين، الإنس والجنّ والملائكة. إنّ الله سبحانه وتعالى غنيّ عن العالمين لا تنفعه طاعة الطّائعين ولا تضرّه معصية العاصين إنّ ثواب الطّائعين لهم وإنّ وزر الكافرين عليهم. والمعروف أنّه لو أنكر وجوب الحجّ منكر كفر وارتدّ الاسلام (٤)

(١) تفسير الطّبريّ ٤/١٢ وانظر أي الطّبريّ ٤/١٣ في سند مثل هذا الحديث وتفسير ابن كثير ١/٣٨٦ وقد علّق الحاكم الذي روى حديث الزّاد والرّاحلة بالقول: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه .

(٢) انظر فقة السّنّة ١/٥٢٨

(٣) تفسير الطّبريّ ٤/١٤

(٤) فقة السّنّة ١/٥٢٧